البواعثُ الخاصة للنزوعِ الذاتيّ
في شعر القرن الرابع الهجري

الأستاذ الدكتور
سعيد عدنان المحنة
جامعة القادسية ـ كلية التربية

المدرس الدكتور
ستار عبد الله جاسم

البواعثُ الخاصة للنزوعِ الذاتيّ في شعر القرن الرابع الهجري

الأستاذ الدكتور
سعيد عدنان المحنة
جامعة القادسية ـ كلية التربية

المدرس الدكتور
ستار عبد الله جاسم

توطئة:ـ

لعل من الأهمية بمكان التأكيد أن البواعث الخاصة هي بمثابة النواة التي ينطلق منها شعر النزوع الذاتي بل هي المرتكز الأساس لكل شعر حقيقي فـ ((حين يصير العامل الذاتي هو المحور للرغبة الضاغطة على القدرة نجد شاعراً حقيقياً))[١] لذلك تبدو الحاجة ماسة لإلقاء ضوء كاشف على أبرز هذه البواعث[٢]، على الرغم من صعوبة ذلك لأن ((ما هو فردي فهو ممتنع عن الوصف))[٣] بحسب قول كروتشه.

ولقد حفل القرن الرابع الهجري بمواهب شعرية فذة أمثال أبي الطيب المتنبي وأبي فراس الحمداني والشريف الرضي كانت البواعث الخاصة لنزوعهم الذاتي في نتاجهم الشعري على درجة عالية من الاتقاد والحيوية ومن أهم هذه البواعث.

أ - الطبيعة النفسية الفطرية.

ب - النسب.

جـ - النشأة.

د - الطموح.

هـ - الكبت.

و - الباعث الفني.

ز - الباعث الفكري.

على أن لابد من القول إن هذه البواعث تتداخل فيما بينها، فضلا عن وجود تداخل لها مع البواعث العامة، لهذا تبدو صعوبة الفصل بينها فصلا حاسما. ولكن ضرورة البحث

اقتضت تسليط الضوء عليها لصلتها الوثيقة بشخصية الشاعر، ومن ثم بالبعد الذاتي الذي تصطبغ به آثاره الشعرية.

أ ـ الطبيعة النفسية الفطرية:

يهتم علم النفس اهتماما بالغا بالدوافع الفطرية التي تدفع الإنسان إلى سلوك ما الشعورية منها واللاشعورية[٤]؛ لأن هذه الدوافع جزء مهم من بناء شخصية الإنسان، هذه الشخصية التي ((هي كل ما كان فطريا بيولوجيا من الاستعدادات والنزعات والميول والشهوات والغرائز عند الفرد وكذلك كل ما اكتسبه الفرد بخبرته من استعدادات وميول))[٥].

إن لهذه الطبيعة النفسية الفطرية أثرا كبيرا في بيان مدى نزوع الفرد إلى ذاته فتوجه مساره وتحدد طريقه في الحياة، ويزداد هذا الأثر أهمية إذا كان الفرد فنانا[٦]، ولاسيما في فن هو الأقرب إلى الطبيعة النفسية والأحاسيس الوجدانية ألا وهو فن الشعر إذ تصبح فرادة الطبيعة النفسية الفطرية باعثا مهما في سيادة الشأن الخاص بوصفه خصيصة رئيسة في أي نتاج شعري أصيل.

على أن طبيعة الشاعر النفسية الفطرية معقدة التركيب، وعواطفه تتداخل بعضها في بعض وتسودها كثرة الانفعال وهي طبيعة تبعث على الأداء الفني بعامة إذ ((يجب تصحيح القول الشائع: أن هذا الشخص كثير الانفعالات لأنه فنان، إذ يُعدّل إلى قولنا إنه فنان لأنه كثير الانفعالات، أو بعبارة اخرى لأن حياته زاخرة بضروب من الصراع لا يُحسن التغلب عليها الا في ميدان التعبير الفني))[٧]، وهذا التعبير بحسب ذلك لا يتجه إلى أمور عامة بقدر ما يتجه إلى ذات الشاعر متلبسا بها، ومعبرا عنها بإبداع لأنه يصدر عن ((الشخصية الإبداعية التي يتسم صاحبها بالحساسية المفرطة، والحدة في الانفعال، والقدرة الابتكارية وقابلية الحركة، والميل للخروج على التقاليد والأعراف الاجتماعية))[٨]. فيصطبغ الشعر الذي تنتجه هذه الشخصية بلونها الذي يميزها من سواها.

وقد حفل القرن الرابع الهجري بأكثر من شاعر كانت طبيعته النفسية الفطرية من أهم بواعث نزوعه الذاتي في شعره. ويأتي في المقدمة أبو الطيب المتنبي إذ ((كان المتنبي مر النفس صعب الشكيمة جادا مجدا))[٩]. وعندما جاء ((ملأ الدنيا وشغل الناس))[١٠] بحسب

وصف المصادر القديمة لهذه الشخصية التي اتسمت بكونها شخصية فريدة لا نكاد نجد لها مثيلا في الأدب العربي. وأن طبيعة المتنبي التي لا تهدأ وفطرته التي لا تقر، وإحساسه القوي، ومزاجه الحاد واندفاعه الشديد[١١]، كانت بمثابة بواعث مهمة لولادة شعر يحمل مثل هذه السمات. ولا غرابة في ذلك فإن الأدب ((كان وما زال طريقا من طرق الكشف عن إسرار النفس البشرية))[١٢]. والمتنبي نفسه يعرب في بعض شعره عما يحسه من طبيعة نفسية في دواخله تثير الدهشة حتى لصاحبها، يقول[١٣]:

سُبحانَ خالِقِ نَفسي كَيفَ لَذَّتُها ... فيما النُفوسُ تَراهُ غايَةُ الأَلَمِ

الدَهرُ يَعجَبُ مِن حَملي نَوائِبَهُ ... وَصَبرِ نَفْسِي عَلى أَحداثِهِ الحُطُمِ

وَقتٌ يَضيعُ وَعُمرٌ لَيتَ مُدَّتَهُ ... في غَيرِ أُمَّتِهِ مِن سالِفِ الأُمَمِ

فالشاعر ودهره في عجب وحيرة من سرّ هذه النفس التي فُطرت على اختلاف طبائعها عن محيطها بل على تناقض مع ما كان سائدا من أعراف زمانها، فقد كان ذا طبيعة نفسية تؤثر التعب والمشقة وتلتذ بهما وتحتمل الصبر والإجهاد وتسعى إلى المغامرة والمخاطر وهذا ما لا ترغب به الناس في زمانه، وتصل فداحة إحساس الشاعر هذا إلى الحد الذي يتمنى فيه أن ينتقل إلى أمة أخرى من الأمم السالفة تقدره حق قدره.

بينما كانت الطبيعة النفسية الفطرية لأبي فراس تميل إلى الحزن والتبرم ورقة الطبع وفرط الحنين[١٤]، وقد أعرب أبو فراس عن ذلك في شعره ومن ذلك قوله واصفا حزنه وبكاءه[١٥]:

وَحُزْنٌ لا نَفَادَ لَهُ وَدَمْعٌ ... يلاحي في الصّبابة كلّ لاحِ

وتمتزج هذه الطبيعة الحزينة بالغضب والتبرم، يقول مخاطبا سيف الدولة[١٦]:

زماني كلهُ غضبٌ وعتبُ ... وأنتَ عليَّ والأيامُ إلبُ

فالشاعر لا يرى لحزنه نفادا، ولا لدمعه انتهاء، وكأنه قد جبل على ذلك، ويتواشج ذلك مع تأجج دائم للغضب في بواطنه، الأمر الذي يبعده عن حال الاستقرار والدعة سواء أكان ذلك قبل الأسر أم في الأسر أم بعده.

أما الشريف الرضي فقد كان ذا طبيعة نفسية فطرية، مولعة بالسعي نحو الكمال والثراء المعنوي، وإن ثراء شخصيته كان يدفع به في كل اهتمام إلى أقصاه ففي الشعر يصبح أشعر

قريش ومن أشعر شعراء العرب، وفي السياسة يصبح نائب الخليفة. أمير الحج، نقيب الطالبيين، وفي الأدب والفقه والنحو يصبح عالما لا يشق له غبار[١٧] . وهذا الأمر موافق ـ إلى حد ما ـ للنظريات العلمية في ميدان علم النفس التي ترى أن شخصية الإنسان الفطرية تعني الخواص الثابتة نسبيا لسلوك الفرد في كل الأوقات وفي مختلف المجالات[١٨]. وما يهمنا هو مجال الشعر الذي عبّر فيه الشريف الرضي عن ذاته تعبيرا بلغ مديات بعيدة، ساعده في ذلك ذكاؤه وتفوقه العقلي الكبير فـ ((كلما كان الشاعر أذكى كان ذلك أفضل، إذ ذلك يجعل مجال رغباته واهتماماته أوسع ويجعل تعبيره عنها اشد نضجا))[١٩] ويعزز من إدراكه لذاته وتميزها من سواها، فضلا عن أن الشاعر الرضي كان يفصح عن أن نفسه قد فطرت على لون من الهمّ والتأزم والإحساس العالي بالمعاناة، وهو أمر متأصل فيها قد عبر عنه الشريف الرضي نفسه ومن ذلك قوله[٢٠]:

فلو كان قلبي بارئاً ما ألمّه وَلَكِنّ أسْقَاماً أصَبْنَ سَقِيمَا

إذن هو لا يلقي باللائمة على ظروفه فحسب وإنما كان يحس أن ثمة تأزماً داخليا كان يستبطنه قلبه الذي، وسمه بالسقيم، وقد أرهقته أحوال حياته بأسقام أخرى.

ب ـ النسب:

يمثل نسب الشاعر محطة شغف بها كثير من النقاد وحاولوا إرجاع كثير من الظواهر الموضوعية والفنية في الشعر إليها. ولاسيما ما يتعلق بالجانب الذاتي من هذا الشعر. وعلى الرغم من أن لنواحٍ ما في نسب الشاعر تأثيرا ما في شعره إلا أن من الخطأ أن نرجع إليه أكثر مما يحتمل من خصائص الشعر ومن رؤية الشاعر وتجربته.

وقد تعرض أبو الطيب المتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤هـ) وهو أبرز شعراء القرن الرابع الهجري بل أبرز شعراء العربية إلى جملة من الآراء التي تفسر سر شخصيته بالعودة إلى ما تراه في نسبه، ولعل أكثر هذه الآراء خطورة وجرأة رأي الدكتور طه حسين في كتابه (مع المتنبي) إذ يرى ((أن شعور المتنبي بهذه الضعة أو بهذا الضعف من ناحية أسرته وأهله الأدنين قد كان العنصر الأول الذي أثّر في شخصية المتنبي))[٢١]. ويؤكد ذلك في تعليقه على أبيات المتنبي[٢٢]:

أنا ابنُ مَن بعضُهُ يَفُوقُ أبَا الـ ـباحِثِ والنَّجلُ بعضُ من نَجَلَهْ

وإنّمـــا يَـــذْكُرُ الجُـــدودَ لَهُـــمْ مَـــنْ نَفَـــرُوهُ وأثْفَـــدوا حِيَلَـــهْ
فَخْـــراً لعَضْـــبٍ أرُوحُ مُشْـــتَمِلَهْ وسَـــمْهَرِيٍّ أرُوحُ مُعْتَقِلَـــهْ

فيقول ((إن المتنبي لا ينسب نفسه إلى أب كآباء الناس وإنما ينسب نفسه إلى متجزئ له بعض يمتاز من كله وبعضه هذا يفوق آباء الباحثين عن نسبه المتقصين لأمره... إن هذه الأبيات تصور ضعف المتنبي من ناحية نسبه ابلغ تصوير))[٢٣].

ولكن هذه الأبيات ـ في الحقيقة ـ إنما تصور فخر المتنبي بنفسه وتأكيده أن الاعتماد على أمجاد الآباء والأجداد إنما يدلل على خواء شخصية الإنسان ونفاد مزاياه التي تؤهله للبروز بين أقرانه في المجتمع؛ لذلك يشفع المتنبي هذه الأبيات بأخرى يركز فيها على ذكر مناقبه من علو بطولة وسداد رأي ورفعة شأن وجودة شعر.. وما إلى ذلك. وهذه الرؤية تدل على منطق سديد ونظر إيجابي يحفز على العطاء والاجتهاد والسعي الدائب. ولا يدلُّ بأية حال من الأحوال على ضعة نسب مزعومة. فالمتنبي عندما يفخر بنفسه فليس ذلك على حساب نسبه وقومه، وهذا ما يؤكده المتنبي نفسه في شعره قائلا[٢٤]:

لا بقَـــوْمي شَـــرُفْتُ بـــل شَـــرُفُوا بي وَبنَفْســـي فَخَـــرْتُ لا بجُـــدودِي
وبهـــمْ فَخْـــرُ كـــلّ مَـــنْ نَطَـــقَ الضّـــا دَ وَعَـــوْذُ الجـــاني وَغَـــوْثُ الطّريـــدِ

إذن فالمتنبي هنا لا يقتصر على أن يؤكد نسبه وإنما يرى أن بهم فخر كل من نطق لغة العرب[٢٥]، ولكنه لا يريد لنفسه أن يكون ((عظاميا)) متكلا على مجد أجداده وقومه بل يريد ان يكون ((عصاميا)) معتمدا على نفسه صانعا لذاته، وقد لحظ الواحدي (ت٤٦٨هـ) ما لم يلحظه طه حسين في شرحه هذين البيتين إذ قال في البيت الأول ((ولو اقتصر المتنبي على هذا البيت لكان ألأم الناس نسبا))[٢٦] في إشارة إلى ما يحمله البيت الآخر من معنى موجه ومكمل لما سبقه.

واللافت للنظر أن طه حسين يفرد لأم المتنبي حديثا خاصا في الصفحات ١٧ـ ٢٥ في (مع المتنبي) يخرج منها وهو على شك بأشياء كثيرة، ويستدل على ذلك بأن المتبني لم يذكرها في ديوانه[٢٧]. أما في حديثه على جدة المتنبي لأمه فهو لا يكتفي بالشك بل يرى أن المتنبي ربما شك هو الآخر في نسبها. يقول طه حسين عن جدة المتنبي ((ديوان المتنبي لا يذكر نسبها ولا

يشير إليه ولعله يشكك فيه بعض التشكيك بهذا البيت الذي أملاه الغرور وصاغته الكبرياء ووضعه جموح الشاعر في غير موضعه من الرثاء))[٢٨] وهو قول المتنبي[٢٩]:

ولــو لم تكــوني بنــت أكــرم والــدٍ ... لكــان أبــاك الضــخم كونــك لي أمــا

والشطر الأول من البيت واضح الدلالة على أن المتنبي يشيد بنسب جدته وهو يفخر به، لكنه يعود ـ كعادته ـ إلى نفسه فيعلي من شأنها، وهنا تجب الإشارة إلى أمر مهم هو أن إشادة المتنبي بنفسه في عجز البيت لم تكن لسبب فردي فحسب وإنما لأنه ـ أيضا ـ ابن هذه المرأة، فكأنما اراد المتنبي بهذا البيت أن يؤكد علو شأن جدته من الطرفين الأب والابن وفي ذلك غاية التوازن وليس ثمة جموح في غير موضعه.

أما خلو ديوان المتنبي من ذكر أبيه وأمه فلا تثريب على الشاعر في ذلك لأن ديوانه مظهر لانفعاله وتجاربه وفنه وليس تأريخا لحسبه أو بيانا لنسبه[٣٠] ومن ثم فإننا لا نحمله مهمة توضيح هذا الجانب التاريخي فهذه مهمة المؤرخ لا الشاعر.

وإذا كان الرواة يجمعون على أن ولادة المتنبي كانت في الكوفة سنة ٣٠٣هـ[٣١]. فإن ثمة تباينا في تقدير مدى مكانة أسرته وإذا وجدنا بعض الآراء تشير إلى أنها أسرة متواضعة وإن ذلك له تأثير كبير في نفسية الشاعر[٣٢]، فإن هناك من يرى ((أن اختلاف المتنبي صغيرا إلى كتّاب فيه أولاد أشراف الكوفة... يدعو لتصحيح ما أشيع عن نسبه الوضيع وأسرته المتواضعة))[٣٣] وهي دعوة جادة لعدم تحميل الأمور أكثر مما تحتمل، وللتعامل مع الروايات بتحليل منطقي مبتعد عن السير خلف آراء السابقين بدون تدبر أو وعي.

أما أبو فراس الحمداني فلطالما أكّد أمجاد قومه (بني حمدان) في مثل قوله[٣٤]:

لَــئِن خُلِــقَ الأَنــامُ لَحَســوِ كَــأسٍ ... وَمِزمــــارٍ وَطُنبــــورٍ وَعــــودِ

فلــم يُخلــقْ بنــو حمــدان إلاّ ... لمــــدٍ أو لبــــأسٍ أو لجــــودِ

وأن انتساب الشاعر للأسرة الحمدانية التي عرفت بالبطولة قد لقي توافقا روحيا في ذاته، الأمر الذي أسهم في الرفع من وتيرة مهماته، وتصاعد وتيرة الإحساس لديه، وهذا ما ظهر جليا في محنة الأسر التي ألمت بالشاعر، وقد عبر في شعره عن ذلك قائلا[٣٥]:

وَمـا الأَسـرُ مِمّـا ضِـقتُ ذَرعـاً بِحَمِلِـهِ وَمـا الخَطـبُ مِمّـا أَن أَقـولَ لَـهُ قَـدي
وَمـا زَلَّ عَنّـي أَنَّ شَخصـاً مُعَرَّضـاً لِنَبـلِ العِدى إِن لَـم يُصَـب فَكَـأَن قَـدِ
وَلَكِـنَّني أَختـارُ مَـوتَ بَـني أَبي عَلـى صَـهَواتِ الخَيـلِ غَـيرِ مُوَسَّـدِ

وهنا يجب الإدراك أن الشاعر حينما يمجد بطولة أجداه ويسعى نحو تمثيلها واستمرارها إنما يسلط الضوء على الأنا في ماضيه[٣٦]، وحرصه على حضوره الذاتي في مجمل الأحداث.

ومن شعراء القرن الرابع الهجري - أيضا - الذين أثر نسبهم في الطبيعة النفسية لشعرهم الشريف الرضي (٣٥٩ - ٤٠٦هـ) الذي ينتسب إلى أهل بيت النبوة والى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بخاصة[٣٧]، إذ إن ما لاقت سلالة أهل البيت من شتى ألوان القتل والسبي والتعذيب والاضطهاد أثر في نفس هذا الشاعر المرهف وفي شعره الذي اتسم بسمات وجدانية لا تخفى، و((تكمن المفارقة الدامية عند الشريف الرضي في أن النسب المجيد بدلا من أن يقود إلى احتياز مكانة الحق والقيادة وتصريف أمور الناس من قبل سلالة أهل بيت النبي فإنه قادهم إلى حتوفهم والى مواضع الاضطهاد))[٣٨] فأصبح ذلك من العناصر الأساسية الباعثة على زيادة إرهاف نفسه ووجدانه، ومما يلفت النظر ((أن تأثيرات ذلك تجري من الموروثات العضوية قبل التوارث الروحي والثقافي))[٣٩] على حد تعبير الأستاذ عزيز السيد جاسم، الأمر الذي ضاعف من الإحساس بالهم الذاتي عند الشريف الرضي. يقول مستذكرا يوم عاشوراء واستشهاد الإمام الحسين [٤٠]عليه السلام:

أَتُـراني أُعـيرُ وَجهِـيَ صَـوناً وَعَلـى وَجهِـهِ تَجـولُ الخُيـولُ
أَتُـراني أَلَـذُّ مـاءً وَلَمّـا يَـروَ مِـن مُهجَـةِ الإِمـامِ الغَليـلُ
يـا غَريـبَ الـدِيارِ صَـبري غَريـبٌ وَقَتيـلَ الأَعـداءِ نَـومي قَتيـلُ
بي نِـزاعٌ يَطغـى إِلَيـكَ وَشَـوقٌ وَغَـرامٌ وَزَفـرَةٌ وَعَويـلُ

فالشاعر الرضي لا تكاد تفارقه ذكرى ما تعرض له أجداده من مآسٍ، ولاسيما ما كان من تفجع في استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وإذا كان الأمر قد آلم الإنسانية بعامة، فكيف الحال بالشريف الرضي وهو من أحفاد الإمام الشهيد، لذا كان الرضي تنتابه إحساسات خاصة عند تذكره واقعة الطف، وما جرى فيها من فجائع فلا يهدأ له بال ومشاهد كربلاء

تتراءى أمام عينيه، ولم يكن ذلك شعورا طارئا، إنما هو باعث دائم، يقلق وجدانه، ويثير هواجسه، فتنزع نفسه إلى زفرات وعويل.

جـ ـ النشأة:

تعد نشأة الفنان ولاسيما الشاعر من أهم المراحل في تكوين شخصيته، بل لعلها أهمها، لذا يجب على الناقد أن يأخذ بعين الحسبان أهمية الطفولة ودورها في تشكيل اتجاهات الشاعر ورؤيته، وآثار بعض الوقائع الراسخة في اللاوعي والذاكرة لديه[٤١]؛ وأن الوقفة النفسية من الشعر تراعي مراحل نمو الشاعر وتكوّن شخصيته، وما يعترض هذا التكوين من تقدم وانحسار أو كبت وانعتاق...وما يحيط بتلك الشخصية من مؤثرات[٤٢]؛ إذ إن ((ثمة حوادث تترك أثرها في النفس.. فتختزن النفس هذه الآثار وتمضي في تفاعلها كلما وجدت مناسبة لذلك))[٤٣].

ولقد كانت ظروف النشأة لأبرز شعراء القرن الرابع باعثا مهما من بواعث اهتمامهم بذواتهم ونزوعهم إليها، ومن السابقين في ذلك أبو الطيب المتنبي الذي كانت نشأته ملأى بأحداث جسام أثرت ابلغ تأثير في نفسيته وشعره بدءا من يتمه المبكر إذ توفيت أمه وهو ما يزال طفلا فكان بأمس الحاجة لعطفها ورعايتها، ومن الثابت أن فقدان الأبوين أو احدهما من شأنه أن يعزز حس عدم الأمن في الطفل، ومما أثر فيه أيضا حال الفقر التي كانت عليها أسرته؛ إذ ((كان الفقر عاملا آخر أثر في نشأته فقد كان فقير النشأة يعاني من وطأة الإحساس بالفقر))[٤٤].هذا الإحساس الذي عبر عنه المتنبي بقوله[٤٥]:

لُمِ اللّيالي التي أخْنَتْ على جِدَتي ... بِرِقّةِ الحالِ وَاعذِرْني وَلا تَلُمِ

أرَى أُناساً ومَحصُولي على غَنَمٍ ... وَذِكْرَ جُودٍ ومحْصُولي على الكَلِمِ

إذن فالمرارة شديدة والحسرة عميقة بسبب من فقر الحال وبخاصة إذا ما قورن ذلك بما عند آخرين من يسر وغنى ولم يكن الأمر ليقف عند الفقر المادي بل يتعدى إلى الحرمان الذي عاشه المتنبي منذ صغره سواء من حيث الحاجة المادية أو من حيث فقدان عطف الأم فأسهم ذلك في تركيبته النفسية، إذ ابتعد عن الاستقرار وجانب الفرح وغابت عنه الطمأنينة[٤٦]، وهنا يجب القول إن الإشارة إلى أن الملابسات والظروف التي أحاطت بحياة المتنبي ـ أو أي شاعر ـ في صغره قد تركت بصماتها في شعره لا تعني بالضرورة أن تعد عملية

الإبداع ردة فعل لفقر أو يتم أو ضعة أصل وإلا لكانت كل فئة تتعرض لمثل هذه الملابسات والظروف قد حازت صفة الإبداع.

وثمة شاعر آخر من شعراء القرن الرابع المبرزين شارك أبا الطيب في اليتم المبكر هو أبو فراس الحمداني (٣٢٠- ٣٥٧هـ) الذي قتل أبوه وهو ما زال طفلا صغيرا لم يتجاوز السنة الثالثة من عمره[٤٧] وبذلك فقد جانبا مهما من جوانب العطف والرعاية لا شك في تأثيره النفسي في شخصية ابي فراس وفي شعره.

ولعل هذا ما أسهم في تعميق فكرة الموت والحياة لديه إذ أكثر من ذكر الموت وعبر عن تيقنه من موته بين الأعنة والأسنة، ومن ذلك قوله[٤٨]:

وقــدْ علمــتْ أمــي بــأنَّ منــيتي بحــدِ ســنانٍ أو بحــدِ قضــيبِ

وقوله[٤٩]:

مــتى مــا يــدنُ مــنْ أجــلٍ كتــابي أمُــتْ بَــينَ الأعِنّــةِ وَالأسِــنّهْ

فضلاً عن أن فقدانه أباه مبكرا قد عزز من ارتباطه بأمه فأكثر من الحديث عنها وإليها وهذا ما نلحظه في أول البيتين السابقين على سبيل المثال، ومن بعد أمه كانت رعاية سيف الدولة له، والشاعر يعده بمثابة أبيه عندما فقد والده مبكرا، يقول[٥٠]:

لقــدْ فقــدتُ أبي طفــلاً فكــانَ أبي مــنَ الرجــالِ كــريمُ العــودِ ناضــرهُ

لكن فقد الأب في مرحلة الطفولة لا يمكن أن يُعوَّض بأية حال من الأحوال، ولاسيما أن هذا الأب قد قتل، فلا شك أن يبقى تأثير ذلك في شخصية الشاعر ماثلاً.

والبيتان يعبران عن شدة الأحوال التي عاناها الرضي في نشأتهِ ولاسيما في مرحلة اعتقال والده.

أما الشريف الرضي فقد عاش حالا أشبه باليتم إذ اعتقل عضد الدولة البويهي والد الشريف الرضي وكان الرضي في حينها ما زال طفلا واستمرت هذه الحال أكثر من سبع سنوات ولم يكتف عضد الدولة باعتقال والد الشريف وإنما نكب بأسرته بمصادرة الأموال ومطاردة الرجال واعتقالهم[٥١].

فكان لهذه المحنة اثر كبير في نفسية الشريف الرضي ومن ثم في شعره إذ نلمس فيه مرارة

الحياة والإحساس العالي بالأسى واللوعة فيها. ويرى الأستاذ عزيز السيد جاسم أن الشريف الرضي قد مر بشيء من عسر الحال. يقول: ((لعل إهداء الدار إليه من قبل أستاذه إبراهيم بن احمد الطبري خير بلاغ عن الفاقة التي آل إليها الشريف الرضي على ما عرف عنه من إباء وترفع وكبرياء رافقته منذ الصغر ولم تخنه على الكبر))[٥٢] وبصرف النظر عن مدى دقة هذا الرأي فإنه يومئ إلى أن شخصية الشريف قد مرت بظروف صعبة في نشأتها لا تنسجم ومكانته التي كان يأملها. فكان ذلك كله باعثا في إلتفاته إلى دواخله وانصرافه إلى شأنه الذاتي.

وقد أعرب الشريف الرضي عن ضيقه بتلك الظروف وكان عمره يتجاوز عشر سنوات بقليل، يقول[٥٣]:

نُصَـــايفُ المَعَـــالي، والزّمـــانُ مُعانِـــدُ وَنَـــنْهضُ بالآمـــال، والجَـــدُّ قاعـــدُ

وللّهِ ليـــلٌ يمـــلأ القلـــبَ هَوْلُـــهُ وقـــد قلقـــتْ بالنـــائمينَ المراقـــدُ

والبيان يعبران عن شدة الأحوال التي عاناها الرضي في نشأته، ولاسيما في مرحلة اعتقال والده.

د ـ الطموح:

يعد الطموح من البواعث التي تدفع الإنسان ولاسيما الفنان إلى الاهتمام بذاته والسعي إلى بناء شخصيته، وقد لحظ بعض علماء النفس ذلك وعلى رأسهم يونج الذي ((أضاف مبدأ مهما للشخصية الإنسانية هو (المستقبل) فالإنسان عنده ليس أسير الماضي وعقده - كما يرى فرويد - بل إنه دائم التطلع إلى المستقبل وهي حقيقة مهمة في تحقيق توازن الشخصية وتكاملها))[٥٤]، ويصبح الأمر أكثر حيوية إذا نظر إليه في فن الشعر الذي يجب أن يرتبط بالنفس الإنسانية أكثر من الفنون الأخرى.

ويمكن اعتبار المتنبي ابرز شاعر في القرن الرابع الهجري ـ وفي سواه ـ اقترن شخصه وشعره بالطموح الذي ليس له حد وقد لحظ القدماء والمحدثون ـ على السواء ـ ذلك، يقول الثعالبي (ت٤٢٩هـ) ((بلغ من كبر نفسه وبعد همته أن دعا إلى بيعته على الحداثة من سنه والغضاضة من عودة قوما من رائشي نبله، وحين كاد يتم له أمر دعوته تأدى خبره إلى والي البلدة ورفع إليه ما هم به من الخروج فأمر بحبسه وتقييده))[٥٥]، وهنا يريد الثعالبي بقوله:

دعا إلى بيعته، أنه طلب الملك وهذا هو الذي يعقل في ابي الطيب فهو القائل[٥٦]:

وَفُـــؤادي مـــن المُلُـــوكِ وانْ يكـــنْ لِسَـــانِي يُعَـــدُّ مِـــنَ الشُّـــعرَاءِ

أما الزعم بادعائه النبوة فهو لا يصمد إزاء النقد ولا يمكن أن يحمل على محمل الجد، لأن إسلام أبي الطيب[٥٧] وعقله وخبرته وبيئته كلها أسباب تمنع من ذلك، ثم أن هذا الادعاء لو كان فيه قدر ضئيل من الصواب لأصبح حجة تلوكها أفواه خصوم المتنبي وما أكثرهم. في مختلف العصور.

على أن السجن لم يفت في عضد المتنبي ولم يضعف ذلك الطماح العتيد، فقد كان يقول في السجن[٥٨]:

كُـنْ أيّهـا السّـجنُ كيـفَ شـئتَ فقـد وَطّنْـتُ للمَـوْتِ نَفْـسَ مُعتـرِفِ

لـوْ كـانَ سُـكنايَ فيـكَ مَنقَصَـةً لم يَكُـنِ الـدُّرُّ سـاكِنَ الصَّـدَف

إذن فطماح المتنبي لا يمكن أن يؤثر فيه سلبا أي سجن، لان الموت وحده الذي يمكن أن توقف أقداره أنفاس هذا الطماح الدائب، بل أن الأمر على العكس تماما فقد كان أبو الطيب يرى أن سجنه خير دليل على شخصيته الفريدة وفكره النفيس.

إن ما يعزز من فاعلية هذا الباعث في شخصية المتنبي وشعره جانبان أولهما: ان طموح المتنبي ليس طموحا اعتياديا بل ليس له مدى أو حدود والجانب الاخر أن بيئته لا تنسجم وطموحه البتة، الأمر الذي يصفه الدكتور طه حسين بـ((العلة)) قائلاً: ((تلك العلة التي حملت المتنبي في حياته ما احتمل من جهد وعناء وألقته صريعا آخر الأمر في مهمة من مهامه العراق. وهذه العلة هي قلبه الذي لا يقنع بشيء ولا يطمئن إلى حال وإنما هو طامع أبدا جامح أبدا راغب في التغيير قلق مهما استقر))[٥٩]. وخير ما يمثل تلك الحال قوله[٦٠]:

وَفِي النّاسِ مَنْ يرْضَى بميسورِ عيشِهِ وَمَرْكوبُـهُ رِجْـلاهُ وَالثّـوْبُ جلـدُه

وَلَكِـنّ قَلْبـاً بَـينَ جَنْبَـيّ مَـا لَـهُ مَـدًى يَنتَهِـي بي فِي مُـرَادٍ أحُـدُّهُ

يَـرَى جِسْـمَهُ يُكْسَـى شُـفُوفاً تَرُبُّـهُ فيَختـارُ أن يُكْسَـى دُرُوعـاً تهُـدّهُ

يُكَلّفُـنِي الـتّهْجيرَ فِي كـلّ مَهْمَـهٍ عَليقِـي مَرَاعِيـهِ وَزَادِيَ رُبْـدُهُ

إذن هو يصرح بأن ليس لمراده مدى. وأن ثمن ذلك هو اختيار سلوك الطريق الصعبة الشائكة كثيرة الاخطار وتجنب الطريق السهلة السالكة لأنه يريد أن يلج نفسه وكيانه لا جسده ومظهره.

إن الحياة عند المتنبي شروع دائم وبحث مستمر لا يقف عند حد، وان ((شعره وهو يتجهان صعودا في آفاق العظمة دون أن يبلغا عظمة أخيرة يرتاحان إليها ويقفان عندها))[٦١]. والمتنبي نفسه يقر بذلك يقول[٦٢]:

أريدُ من زمني ذا أنْ يبلّغني ... مَا ليسَ يبلغُهُ منْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ

وكأنه يدرك ((أن الممكن المباشر سرعان ما يصير آسنا، فالوقوف عنده دلالة العجز ولكي ينقذه من التعفن يصله بالمستحيل))[٦٣].

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الطموح عند المتنبي أصبح حالا مترنحة وشعورا موغلا في العمق حتى ((تحول إلى مركب علو. وحقيقة المركب في علم النفس أنه ظاهرة مدفونة في اللاوعي. ومعنى ذلك أن الملتبس بها لا يحس بها إحساس الآخرين.. والمتنبي طموح واع بطموحه وعيا لا يزيده إلا تعلقا به))[٦٤]. الأمر الذي أدى إلى ان يكون الشاعر نهبا للقلق والاضطراب ومن ثم صار عرضةً للشعور بالأسى والحزن. وبذلك يصبح طموحه باعثا مؤثرا في نزوعه الذاتي وتصبح رؤاه الذاتية صدى لما في داخله من صراع مستمر بين طماحه المثير واللانهائي وواقعه المحدود. ويزداد هذا الصراع حدة وشراسة في مراحل إقامته في مصر (٣٤٦ - ٣٥٠هـ) فيقوى الباعث في نزوعه إلى ذاته ويكبر تأثيره في شعره فتأتى أشعاره في تلك المرحلة ملأى بصرخات ذاته ونبضات وجدانه،

ونجد لهذا الباعث أثرا أيضا في شخص ابي فراس الحمداني ومن ثم في شعره، فقد كان بطلا من ابطال الحمدانيين طامحا إلى المجد تائقا إلى المعالي، كان يقول[٦٥]:

وَنحنُ أناسٌ لا توسط عندنا ... لنا الصدرُ دونَ العالمينَ أو القبرُ

تَهونُ عَلَينا في المَعالي نُفوسُنا ... وَمَن خَطَبَ الحَسناءَ لَم يُغلِها المَهرُ

فطموحه كان مصوبا إلى الصدارة دائما، وإلاّ فهو يفضل القبر من دون نيل تلك الصدارة.

ولكن مراحل حياة أبي فراس مرت بعوائق كبيرة أعاقت ذلك الطماح الكبير ولاسيما في مرحلة أسره فلم ينل الصدر ولا القبر بل كان الأسر هو القدر الذي خبأه له الزمن. وما أشد إيلامه على طامح كأبي فراس، الذي يؤكد أن طموحه وسعيه في طلب العلا دائما ما يصطدم بعقبة الدهر المعاند والزمن الجاحد وذلك في قوله[٦٦]:

وَاللَهِ ما قَصَّرتُ في طَلَبِ العُلا ... وَلَكِن كَأَنَّ الدَهرَ عَنِّيَ غافِلُ

مَواعِدُ أَيّامٍ تُماطِلُني بِها ... مُراماةُ أَزمانٍ وَدَهرٌ مُخاتِلُ

فالشاعر هنا يوازن بين طماحه وجحود دهره ويُقسِمُ على علو همته إزاء دهر مماطل لا يجازي المرء بما يستحق. على أن طماح أبي فراس لا يقف عند مدى معين بل يسمو على الثريا، يقول[٦٧]:

تَلاعَبُ بي عَلى هَوجِ المَطايا ... خَلائِقُ لا تَقُرُّ عَلى الصَغارِ

وَنَفسٌ دونَ مَطلَبِها الثُرَيّا ... وَكَفٌّ دونَها فَيضُ البِحارِ

إذن هو مأخوذٌ بهذه المطالب والطموحات التي تعج بها نفسه وتملأ كيانه فيحار في المواءمة بينها وبين واقعه.

ولا يقل طماح الشريف الرضي عن طماح سابقيه، ((فلا نقابة الطالبيين ولا إمارة الحج أو النظر في المظالم مما يتطلع إليه الرضي، إنه تواق إلى العلا.. ولم لا والنفس كبيرة والهمة عالية))[٦٨] وقد صرح الشريف الرضي بذلك في شعره حيث يقول[٦٩]:

لَوْ كُنتُ أقنَعُ بالنِّقَابَةِ وَحدَها ... لغضضت حين بلغتها آمالي

لكن لي نفس تتوق إلى التي ... مَا بَعْدَ أعْلاهَا مَقَامٌ عَالِ

ويقول[٧٠]:

أماني نفسٍ ما تناخ ركابها ... وغيبة حظٍ لا يرجّى إيابُها

وقريب من ذلك قوله[٧١]:

أرى نفسي تتوق إلى النّجومِ ... سَأحمِلُهَا عَلى الخَطَرِ العَظيمِ

وَلي أمَلٌ كصَدْرِ الرّمحِ ماضٍ ... سوَى أنّ اللّيَالي مِنْ خُصُومي

إذن فآماله دائمة التجدد، ونفسه تواقة إلى أعلى مقام. ولم تكن القناعة بما هو متوافر من صفاته وهذا ما جعل ذاته في حال صدام دائم مع الواقع الذي يقف في وجه مثل هذه النفوس فيعلو صوتها وتزداد حركتها.

هـ ـ الكبت:

الكبت في مفهوم علم النفس ((هو استبعاد الأفكار والمشاعر والإحساسات أو الذكريات المؤلمة... من الشعور إلى اللاشعور))[٧٢] وإذا ما أخذنا بعين الحسبان أن الإبداع الفني بصفة عامة والإبداع الشعري بصفة خاصة عملية فيها قدر كبير من اللاشعور ان لم تكن عملية لا شعورية أدركنا حينئذ أن كثيرا من بواعث النزوع الذاتي فيها مردها إلى النزعات الداخلية المكبوتة والى الرغبات الحبيسة. وتكون مهمة الفن بحسب ذلك أن يظهر انفعالاتنا ويحررنا من الألم ويحصننا نفسيا، وقد قيل إن غوته Gothe كتب روايته المعروفة (آلام فرتر) كي يحرر نفسه من هواجسه وانفعالاته الحادة التي كانت تدعوه إلى الانتحار[٧٣]، فأزاح بعمله الفني المتميز ما كان يعتريه من همٍّ وكبت.

والكبت إنما ينشأ من عملية تسبقه تتمثل بصراع نفسي محتدم، نتيجة تصادم بين رغبات الفرد ودوافعه الداخلية وبين مقاييسه ومثله الاجتماعية والخلقية وغيرها؛ ولكي يتخلص الفرد من أعباء هذا التصادم أو التنافر فإنه يلجأ إلى الكبت كي ((يُبعد عن إدراكه الواعي كل الرغبات والدوافع التي يتعارض تحقيقها مع القيود والقيم والضوابط والأعراف الوضعية وغير الوضعية ويدفع بها إلى اللاشعور))[٧٤]، على أن تلك الرغبات المكبوتة لا تهدأ بل تمارس ضغطا مستمرا كي تبرز أو تظهر على مستوى الشعور، ويبدو ذلك متاحا عبر الأثر الفني الذي هو بمثابة ((إفراغ طاقة عاطفية تجمعت بإفراط على بعض الميول بسبب كبتها، وبسبب استحالة إفراغها. ومن هنا نفهم إلى أي حد يمكن ان يكون الفن تخففا))[٧٥]، وسبيلا مهما للخلاص من الأعباء.

من ذلك يبدو طبيعيا أن أي كبح للرغبات الحبيسة والأحاسيس الفردية المكبوتة في أعماق الفنان، ولاسيما الشاعر نتيجة للإعاقات البيئية المختلفة يجعله في حال من البحث عن البديل، ولا شك في أن ((الأعمال الأدبية والفنية العظيمة تمثل أسلوبا يلجأ إليه اللاوعي للتعبير عن نفسه تعبيرا ساميا، فيشعر الكاتب أو الشاعر أو الفنان بعد انجازه للعمل الفني بالرضا والارتياح، وأنه تخلص من مكبوته))[٧٦]، وبحسب قول أحد النقاد المحدثين ((مهما

تكن العوائق الخارجية والمثبطات وقوى الكبح فلا بد أن تولد القصيدة، وتخرج حتى لا يتخشب جسد الشاعر))[٧٧]، وتكون هذه القصيدة الوليدة محملة بأعباء اللاشعور المترسبة في قرارة نفس الشاعر.

ويمكن القول أن ابا الطيب المتنبي كان محظوظا إلى درجة كبيرة بأن وهب موهبة الشعر وقد أحسن توظيفها التوظيف الأمثل إذ أفرغ فيها كثيرا مما يعتور في داخله ويجيش في أعماقه، فكانت صوتا لذاته لا صدى لغيره. وكأنما المتنبي قد ادرك ((أن مهمة الشعر هي التطهير وهو ذلك الاصطلاح الذي استعمله ارسطاطاليس، والشعر على حسب هذا المبدأ يخلصنا من ضغط العواطف فإذا عبرنا عنها انزاحت عنا))[٧٨]، وبذلك يصل الشاعر إلى حال قريبة من التوازن.

ويشعر المتنبي بهذا الباعث في قوله[٧٩]:

ألا ليت شعري هل أقول قصيدةً فلا أشْتكيْ فيها ولا اتعتّبُ

إذن ثمة دافع داخلي مكبوت في أعماقه، يجد في الشعر ملاذا يستطيع بوساطته الخلاص من الحبس والكبت، فتكون كل قصيدة بوحا بشكواه، وتطهيرا لأزماته وقلقه واضطرابه؛ لأنه فقد من تخفف عنه آلامه وانفعالاته، ولاسيما في أثناء إقامته في مصر حتى قال[٨٠]:

بِمَ التّعَلّلُ لا أهْلٌ وَلا وَطَنُ وَلا نَديمٌ وَلا كأسٌ وَلا سَكَنُ

فضلاً عن أن أبا الطيب قد افتقد في ذلك الطور أشياء كثيرة كان قد اعتادها فيما مضى ومنها أجواء المعارك إذ تعد مما يخفف به من تأزمه وقد عبر عن ذلك قائلا[٨١]:

فَرُبَّتمَا شَفَيْتُ غَليلَ صَدْرِي بسَيرٍ أوْ قَنَاةٍ أوْ حُسَامِ

لذا صار الشعر متنفسا مهما يشفي به المتنبي كثيرا من غليان صدره وتأجج انفعالاته.

ويبدو هذا الباعث دافعا مهما في شعر ابي فراس ولاسيما في رومياته إذ لم يجد من سبيل للكشف عن معاناته والبوح بها إلا الشعر فمثله لا يمكنه الكشف عما في دواخله وأعماقه بشكل مباشر يقول[٨٢]:

بلى أنا مُشتاقٌ وعندِي لَوْعَةٌ وَلكنَّ مِثْلي لا يُذاعُ لَهُ سِرُّ

ويقول[٨٣]:

وَكَمْ مِنْ حَزينٍ مثلَ حزني وَوَالهٍ ولكنّني وَحْدِي الحَزْينُ المُراقبُ

إذن مشاعره وأحاسيسه ولوعاته وأسراره مقيدة حبيسة مكبوتة لم يذعها، فأصبحت تلك الحال مهادا خصبا كي يكون الشعر نزوعا إلى ذاته ومكاشفة بينه وبين نفسه، وانسياحا إلى خلجاته الروحية التي اذكاها الأسر يقول(٨٤):

فَحُزْنيَ لا يَنْقَضِي ودمعي ما يفتُرُ

وما هذهِ أدمعي وَلا ذَا الّذي أُضْمِرُ

وَلَكِنْ أُدارِي الدّمُوعَ وأسْتُرُ مَا أسْتُرُ

مخافةَ قولِ الوشا ةِ مِثْلُك لا يَصْبِرُ

فالشاعر في حال حزن شديد، ودمع مستعر، ولكنه حريص على ألا يذيع هذه الأحزان أو يكشف عن تلك الدموع، فتخذ من الآثار الشعرية منفذا ناجعا لها.

أما الشريف الرضي فيبدو انه كان لا يستطيع البوح بكل ما يختلج في أعماقه بشكل مباشر، لأسباب شتى يتعلق أكثرها بمكانته الدينية وموقعه الاجتماعي والسياسي.... وما إلى ذلك، فزفراته كامنة في حشاه، ودموعه لم تتعد مآقيه، يقول(٨٥):

فعندي زفير ما ترقّى من الحشى وَعندي دُمُوعٌ مَا طَلَعنَ المَآقِيَا

ذلك بسبب من ثقل همومه التي أخذت منه مأخذها يقول(٨٦):

صَرِيعُ هُمُومٍ يَحْسَبُ النّاسُ أنّني لِمَا أخَذَتْ منّي صَرِيعُ مُدامِ

ومن ثم وجد من الشعر مجالا فسيحا يمكن أن يخفف من شدة التأزم النفسي الداخلي الذي يعانيه ولم يكن الأمر نتيجة فراغ أو دعة. وهو يؤكد ذلك في شعره قائلاً(٨٧):

وَلَيسَ مِنَ الفرَاغ يَثُرْنَ عَنّي نُفاثات يجيش بها الجنانُ

ولكنْ مهجةٌ ملئتْ ففاضت وَضَاقَ القَلْبُ، وَاتّسَعَ اللّسَانُ

فواضح أن الشعر كان للشريف الرضي ضرورة ملحة وحاجة ماسة باعثها الكبت ومنبعها توقد الوجدان، فجاء اللسان الشعري معبرا تعبيرا صادقا لا تكلف فيه ولا ادعاء. وإنما هي الضرورة الداخلية للذات الشاعرة، وثورة عاطفتها.

و ـ الباعث الفني:

ليس الفن في حقيقته مجموعة قواعد سابقة أو نظم متوارثة، وليست مهمة الفنان تطبيق القاعدة أو الجري وراء السياقات السابقة له، أو اللهاث خلف اعتماد آراء الآخرين أو الشغف بمعرفة ما يراد منه والإذعان له، انما الفن حياة وانسياح في عالم الذات. وتحليق في فضاء الروح، وان مهمة الفنان الرئيسة اخلاصه لفنه عبر بث ما يعترك في داخله. وما تحس به نفسه.

إن كثيرا من شعراء القرن الرابع الهجري قد آمنوا عبر احساسهم الفني أن الشعر تعبير فني بطريق الكلمة الموزونة عن أعماق وجدان مثارة بمؤثر داخلي أو خارجي وأن معين الشعر انما هو نفس الشاعر وعاطفته[٨٨] وأن الشعر في جوهره انفعال، وبذلك ((يتحتم على الشاعر ان لا يتردد من تصوير احساسه بكل صراحة))[٨٩] ؛ لأنه بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة شخص يحمل اطارا شعريا اقوى من كل طرق التعبير الأخرى[٩٠] .

ويمكن أن نعد أبا الطيب المتنبي في طليعة الشعراء الذين أدركوا أهمية الفن ولا سيما الشعر في الكشف عن عالم الشاعر الداخلي بكل ما يموج فيه، وكأنه قد وعى ما يمكن تسميته بـ ((التجربة العضوية)) ويقصد بها ((الصورة النفسية التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيرا ينم عن عميق شعوره وإحساسه، وفيها يرجع الشاعر إلى اقتناع ذاتي وإخلاص فني لا إلى مجرد مهارات في صياغة القول ليعبث بالحقائق أو يجاري شعور الآخرين لينال رضاهم))[٩١] وقد كان المتنبي فنانا عظيما منحه فن الشعر وإجادته الحقيقية لهذا الفن فرصة التعبير عن دخائل نفسه، ثم أن فن الشعر أوسع مجالا للتعبير عما يريده الإنسان بل لقد كان القدامى يعتقدون ان الشعر هو فن القول الوحيد الذي يجوز فيه للشاعر ما لا يجوز لغيره[٩٢] ليس في المجال اللغوي فحسب بل في كثير من المجالات الأخرى ولاسيما ما يتصل منها بذات الشاعر وشغاف قلبه، وهذه الخصيصة في فن الشعر قد وظفها أبو الطيب المتنبي إلى حد كبير. فأصبح ((العمل الشعري عنده وسيلة تعبير عن هموم الحياة وشواغلها وطموحاتها))[٩٣] لذلك كانت ((أول ظاهرة بارزة في شعر المتنبي انه لا يمكن فصله عن شخصه))[٩٤].

وعلى وفق هذا يمكن أن يُفهم قوله[٩٥]:

أنـا السـابقُ الهـادي إلى مـا أقولُـهُ إذ القـولُ قبـل القـائلين مَقُـولُ

فما يقوله هو حقيقة الأدب التي تقوم على الإبداع، وبث ما في الذات، لا على النقل والإتباع، أي قائمة على السبق لا على التقليد. وهذا اللون من الشعر هو الذي يصمد على مر الأزمان والدهور؛ لأنه ليس رهين شأن عام متغير، بل متغلغل بالشأن الخاص الذي يحتفظ بإثارته وحيويته مهما تقادم عليه الزمن، يقول[٩٦]:

ومَـا الـدهرُ إلا مِـنْ رُواةِ قصـائدي إذا قلـتُ شـعراً أصـبحَ الـدّهرُ مُنْشـدِا

وفي هذا الإطار ((كان المتنبي انما يتبع مذهبا جديدا في الشعر العربي فنقل هذا الشعر من كونه تقليدا مرسوما ومكررا، إلى شعر ذاتي ينبع من نفسية الفنان وتجاربه))[٩٧] فإن في تلبية نداء النفس واستكناه التجارب الذاتية مصدرا ثرا يمد الشاعر بالطاقة ويعينه على التعبير، مع أن ثمة بواكير لذلك من أبرزها تجربة أبي نواس (ت١٩٩هـ).

أمَّا أبو فراس الحمداني فقد كان ينظر إلى الشعر على أنه تجسيد للشخصية، فيخرج منسابا منها وهذا ما لحظه الثعالبي، إذ قال واصفا شعر ابي فراس ((ومعه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك))[٩٨]، لذا يمكن ان يعد ديوان أبي فراس جريدة يومية لحياة الشاعر الأمير[٩٩]، فجاء شعره سهلا يتناوله كما يتناول حياته في يسر، كأنه مرآة لأيامه، والشاعر نفسه يعبر عن ذلك قائلا[١٠٠]:

نَطَقَـتُ بِفَضـلي وَامتَـدَحتُ عَشـيرَتي وَمـا أَنـا مَـدّاحٌ وَلا أَنـا شـاعِرُ

ولعله بهذا يشير إلى أن أكثر الشعراء قد حصلت هوة بين شعرهم وحياتهم وهو يريد أن يبتعد عن صفة الشاعر أو المداح لأن شعره قطعة من نفسه وصوره من حسه.

على أن ثمة دعوة صريحة إلى الابتداع في الشعر ونبذ الشعر المبتذل المشاع نلحظها عند شعراء آخرين في القرن الرابع الهجري من أبرزها ما نلحظه عند أبي اسحاق الصابي (ت٣٨٤هـ) يقول[١٠١]:

أحـبُّ الشّـعرَ يُبْتَـدعُ ابتـداعاً وافـرٌ مِنْـهُ مبْتَـذَلا مُشـاعا

وقوله أيضا[١٠٢]:

ربَّ شـعرٍ أطالَـهُ طُـوْلُ معنـا ه وإنْ قـلّ لفظُـهُ حَيْـثُ يُـرْوَى

وطويـــلٍ فيـــهِ الكـــلاءُ كـــثيرٌ فـــإذا مـــا اسْـــتَعَدَتْهُ كـــانَ لغـــوا

وهذا ((نداء صادق إلى التجديد ورغبة في أن يكون للشاعر استقلالية، ترفعه إلى مصاف الأساتذة ومنزلة الشيوخ))[١٠٣] ولن يكون ذلك إلا بصدور المنجز الشعري من فيض الوجدان وإلهام الروح.

وللشريف الرضي وقفات كثيرة في شعره يشير فيها إلى أن شعره طراز خاص به. يقول الدكتور زكي مبارك: ((تعقبتُ حديث الشريف الرضي عن شعره فرأيت أنه زهي به، واختال أكثر من ستين مرة))[١٠٤]، والذي يعنينا هنا إحساس الشريف الرضي الفني بالمنطقة التي يقوم عليها فن الشعر عنده ألا وهي الأفئدة والقلوب، يقول[١٠٥]:

وَشِـــعْرِي تَخْـــتَصُّ القُلُـــوبُ بِحِفْظِـــهِ وَتَحْظَـــى بـــهِ دونَ العُيُـــون المســـامِعُ

فهو يؤكد وجود هذه الخصيصة المهمة للشعر في موهبته.

ز ـ الباعث الفكري:

لا ريب في أن للفكر أثرا مهما في تعضيد الرؤية الذاتية عند الشاعر، وإسهاما فاعلا في تعميق شعوره بشأنه الخاص. الأمر الذي ينتج عنه ولادة شعر ذي مستوى فني عال مصطبغ بشخصية صاحبه، ذلك أن ((الشعراء فريقان: فريق يحسون إحساساً قوياً ويفكرون تفكيرا ضعيفا فيرون الحقيقة رؤية خاطئة، وهؤلاء هم شعراء الطبقة الثانية، وفريق يحسون إحساساً قوياً، ويفكرون تفكيرا قويا فيرون الحقيقة رؤية صحيحة، وهؤلاء هم شعراء الطبقة الأولى))[١٠٦].

وهذا لا يعني أن يطغى الفكر على عملية الخلق الشعري فيورثها الجفاف[١٠٧]. وإنما يعني ((يقظة الإنسان في عالم يحكمه نظام الأشياء))[١٠٨]، فيكون الشاعر ذا فكر نافذ يحس بذاته، ويشعر بخصوصية تجربته ويعاني جميع أبعادها، على ((ان المسألة ليست سهلة ميسورة بل هي مما لا يقدر عليه إلا أفذاذ الشعراء ممن أوتوا بسطة في الموهبة، وعمقا في الفكر، وتمكنا من اللغة))[١٠٩]، وفي طليعة شعراء القرن الرابع الهجري الذين ينطبق عليهم ذلك الوصف أبو الطيب المتنبي، الذي كان شديد الإيمان بشخصيته وبأنه ((يمثل نقطة التجاذب الرئيسة في أية عملية مفترضة لإعادة ترتيب العلاقة بين الذات وظواهر العالم الطبيعي))[١١٠]. فضلا عن أنه كان يعمل فكره في العواطف التي تتسلل إلى حياته النفسية، ويمضي في التعبير عن أفكاره

مستعينا بتجاربه الخاصة وإذا تحولت العاطفة نفسها إلى مجال فكري فهذا يعني أن كل ما يقع عليه الحس بكلمة واحدة ينتقل عفويا إلى موضوع للتفكير(١١١). ومن ثم يصبح الفكر باعثا لأداء ذاتي ذي منحى خاص.

وكأن فكره الحاد يغذي فيه نزعة الاهتمام بشأنه الخاص بشتى مجالات هذا الشأن.. فعلى سبيل المثال لو تأملنا قوله(١١٢):

أشـــدُّ الغـــمِّ عنـــدي في سُـــرور تـــيقّنَ عَنْـــهُ صَـــاحبُه زوالا

فإننا نرى إحساس الشاعر يختلف عن أحاسيس الناس الاعتياديين الذين يسعون إلى الاستمتاع بكل لحظة من لحظات السعادة والحرص على إلا يفوتهم أي منها بينما نرى الشاعر - المتنبي - يتأمل في كنه السرور، فيرى أن السرور الذي لا يثبت في النفس بل يزول مع الوقت لا يمكن أن يسمى سرورا، بل هو أشد الغم. ويقرب من هذا نظرة المتنبي إلى عاطفة الحب التي يوجهها فكره فيقول(١١٣):

فـــإنّ قليـــل الحـــبّ بالعقـــلِ صَـــالحٌ وإنّ كـــثيرَ الحـــبِّ بالجَهْـــلِ فاسِـــدُ

وهي نظرة تنحو بعاطفة الحب نحو العمق وتنأى بها بعيدا عن السطحية وبذلك تنماز عن نظيرتها عند كثيرين.

أما أبو فراس الحمداني فعلى الرغم من أنه لم يكن كأبي الطيب المتنبي من حيث عمق الفكر ونفاذه لكننا لا نعدم السمة الفكرية في شخصيته واشتماله على رأي رصين(١١٤). ولعل ما أسهم في ذلك أن أبا فراس حظي بحضور مجالس سيف الدولة في حلب التي كانت أكثر المراكز الحضارية تقدما. ففتح ذهنه على ما كان يدور فيها في مجالات الفن والفكر والعلم، الأمر الذي أثر في صقل شخصيته وبنائها. وقد عبر أبو فراس عن عمق فكره إلى جانب شجاعته ومن ذلك قوله(١١٥):

إنْ لمْ تكـــنْ طالـــتْ ســـنيَّ فـــإنَّ لي رأيَ الكُهُـــــولِ وَنَجْـــــدَةَ الشّـــــبَان

بل كان يوصي ويحث على إعمال الفكر وفي ذلك قوله(١١٦):

ولا أرْضَـــى الفَتَـــى مـــا لمْ يُكمِّـــلْ بـــــرأيِ الكهـــلِ إقـــدامَ الغـــلامِ

وهذا يعني أن الشاعر لا يعبر اهتماما لنفثات الشباب ووثبات الفتوة إن لم تكن مقترنة

بإعمال الفكر وتسديد الرأي.

ومن الشعراء الآخرين الذين زخر بهم القرن الرابع الهجري ممن توافر على بُعد فكري عال، أسهم في تعزيز الجانب الذاتي في شعر الشاعر وتأكيد فرادته الشريف الرضي، إذ وَهِبَ فكرا راجحا ووجدانا حارا وقد ((رفع الحجاب بين العقل والقلب في داخل نفسه فكانت لهما رياضة مشتركة))[١١٧] ومعترك واحد على الرغم من صعوبة هذا المنحى، ولكن الشريف الرضي قد وفق فيه إلى حد كبير حتى أصبح - بحسب وصف الدكتور زكي مبارك - ((شاعر القلب والعقل والذكاء))[١١٨] ويصبح شعره حاملا للفكر والعاطفة ينهض بهما معا. ولم يستطع أن يضحي بأحدهما. نلمح من ذلك في قوله والها ومتشوقا[١١٩]:

لا وَالـــذي قَصَـــدَ الحَجـــيْجُ لبيتِـــهِ ... مَـــا بَـــينَ نَـــاءٍ نَـــازِحٍ وَقَرِيـــبِ

وَالحِجـــرِ وَالحَجَـــرِ المُقَبَّـــلِ تَلتَقـــي ... فيـــهِ الشّـــفَاهُ، وَركنِـــهِ المَحْجُـــوبِ

لا كَـــانَ مَوْضِـــعُكَ الـــذي مُلِّكتَـــهُ ... بَـــيْنَ الأضَـــالعِ بَعْـــدَ ذا لِحَبِيْـــبِ

إنّـــي وَجَـــدْتُ لَـــذاذَةً لـــكَ فِي الحشـــا ... لَيْسَـــــتْ لَمَـــــأكولٍ ولا مَشْـــــرُوبِ

لِـــيْ أنّـــةُ الشّـــاكِي إذا بَعُـــدَ المَـــدَى ... مَـــا بَيْنَنَـــا وَتَـــنَفُّسُ المَكْـــرُوبِ

ففي الأبيات جانب يتصل بالشؤون الفكرية والدينية التي كان الشريف الرضي مأخوذا بها ومنها توليه إمارة الحج وسريان تفاصيل هذه الشعيرة إلى فكره حتى إذا ما كان لها شأن في خطابه الأدبي لم ينس قلبه وذاته؛ لذلك جاء البيتان الأول والثاني مهادا يتخذ من الإقناع الفكري الديني وسيلة إلى نتيجة وجدانية تتخذ من القلب والعاطفة معبدا لها.

هوامش البحث

(١) نقد الشعر في المنظور النفسي: ١٦٣.
(٢) ظ: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر: ٥٠.
(٣) المجمل في فلسفة الفن: ١٠٤.
(٤) ظ: المدخل إلى علم النفس الحديث، ركس نايت: ٨- ٩.
(٥) الشخصية وقياسها: ٨.
(٦) ظ: الابلاغية في البلاغة العربية: ٤٩.
(٧) الأسس النفسية للإبداع في الشعر خاصة: ١٢٦.
(٨) الإبداع في الفن: ٢٩٥.
(٩) الواضح في مشكلات شعر المتنبي: ١٤.
(١٠) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٧٥/١.
(١١) ظ: مع المتنبي ٥١.
(١٢) من الوجهة النفسية للأدب: ظ: المجمل في فلسفة الفن: ١٥٦.
(١٣) ديوان أبي الطيب المتنبي، تحـ د. عزام: ٤٠٤.
(١٤) ظ: يتيمة الدهر: ٧٥/١.
(١٥) ديوان أبي فراس الحمداني، تحـ د. سامي الدهان: ٥٦.
(١٦) م.ن: ٤٩.
(١٧) ظ: يتيمة الدهر: ١٣٦/٣.الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي: ١٠٣.
(١٨) ظ: شخصية الإنسان تكوينها وطبيعتها و اضطرابها: ٦.
(١٩) مقال في طبيعة الشعر: ١٣٠.
(٢٠) ديوان الشريف الرضي، تحـ د. محمود مصطفى حلاوي: ٢٣٠/٢.
(٢١) مع المتنبي: ٢١.
(٢٢) ديوان أبي الطيب المتنبي، تحـ:د. عبد الوهاب عزام: ٢٠٧.
(٢٣) مع المتنبي ١٥-١٦.
(٢٤) ديوان أبي الطيب المتنبي، تحـ. د. عزام: ٥٢.
(٢٥) ظ: تراثنا كيف نعرفه: ٥٨.
(٢٦) شرح ديوان المتنبي: ٦٢.
(٢٧) ظ: مع المتنبي: ١٧.
(٢٨) م.ن: ص.ن.
(٢٩) ديوان أبي الطيب المتنبي، تحـ د.عزام:١٥٦.

(٣٠) ظ: المتنبي بين ناقديه: ٣٢٦.
(٣١) ظ: يتيمة الدهر: ١٢٩/١، نزهة الالباء: ١٩٤، وفيات الأعيان: ١٢٤/١.
(٣٢) ظ: تاريخ بغداد: ١٠٣/٤، ترجمة المتنبي لابن النديم (ملحق كتاب (المتبني) لمحمود محمد شاكر: ٦٣٤.
(٣٣) المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس، د. محمد يوسف نجم بحث (من خلاص الفرد إلى خلاص الجماعة: ١٠٣.
(٣٤) ديوان أبي فراس الحمداني، تحـ د. سامي الدهان: ٨٠.
(٣٥) م.ن: ٦٤.
(٣٦) ظ: تاريخ الأدب العربي، بلاشير: ٢٨٨/٢.
(٣٧) ظ: يتيمة الدهر ١٣٦/٣، عمدة الطالب:١٩٦.
(٣٨) الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي: ١٢.
(٣٩) م.ن:٢٣.
(٤٠) ديوان الشريف الرضي، تحـ د. محمود مصطفى حلاوي: ١٦٤/٢.
(٤١) ظ: اتجاهات التأويل من المكتوب إلى المكبوت: ١٠٩.
(٤٢) ظ: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك: ٥٦.
(٤٣) الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة: ٢٢٧. ظ: دليل الناقد الأدبي: ٢٢٥ـ ٢٢٦.
(٤٤) المتنبي بين الثورة والاغتراب: ٩٧.
(٤٥) ديوان أبي الطيب المتنبي، تحـ د: عزام: ٦٤.
(٤٦) ظ: المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس، بحث: مفاعلات الأبنية اللغوية والمقاومات الشخصية في شعر المتنبي، بحث عبد السلام المسدي: ٢٤٥.
(٤٧) ظ: وفيات الأعيان ١٢٧/١.
(٤٨) ديوان أبي فراس الحمداني، تحـ د. سامي الدهان: ٤٢.
(٤٩) م.ن: ٢٢٠.
(٥٠) م.ن: ١٠٥.
(٥١) ظ: المنتظم: ٩٨/٧.
(٥٢) الاغتراب في حياة وشعر المتنبي وشعر الشريف الرضي: ١٩؛ ظ: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤٨/١.
(٥٣) ديوان الشريف الرضي، تحـ د. محمود مصطفى حلاوي: ٣٦٢/١.
(٥٤) الذاتية والغيرية في الرواية: ٢٨.
(٥٥) يتيمة الدهر: ١٢٨/١.
(٥٦) ديوان أبي الطيب المتنبي تحـ د. عزام: ٣٥٦.
(٥٧) ظ: الشخصية الإسلامية في شعر المتنبي: ١٥١.

(٥٨) ديوان أبي الطيب المتنبي تحـ د. عزام: ٧٤.
(٥٩) مع المتنبي: ٣٠٥.
(٦٠) ديوان أبي الطيب المتنبي تحـ عزام: ٣٦١.
(٦١) ديوان الشعر العربي: ٢٠.
(٦٢) ديوان أبي الطيب المتنبي، تحـ: عزام: ٣٧٣.
(٦٣) ديوان الشعر العربي:٢٠.
(٦٤) قراءات: ٧٠.
(٦٥) ديوان أبي فراس الحمداني، تحـ د. سامي الدهان: ٨٨.
(٦٦) م.ن: ١٨٥.
(٦٧) م.ن: ٩٨.
(٦٨) ديوان الشريف الرضي، تحـ: محمود مصطفى حلاوي، مقدمة المحقق: ٢٦.
(٦٩) م.ن: ٣١٦/١.
(٧٠) م.ن:١٢٦/١.
(٧١) م.ن:٣٤٧/٢.
(٧٢) معجم مصطلحات علم النفس: ٩٥، ظ: أسس علم النفس: ٢٦٧.
(٧٣) ظ: فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة: ١٨٢.
(٧٤) الإبداع في الفن: ٢٨٤.
(٧٥) الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة: ١٢٦.
(٧٦) النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك: ٥٦.
(٧٧) دراسات نقدية في الأدب الحديث، عزيز السيد جاسم: ٥٣.
(٧٨) فن الشعر: د. إحسان عباس: ١٦٠؛ ظ: ضرورة الفن: ٧، معنى الفن: ٥٤.
(٧٩) ديوان أبي الطيب المتنبي، تحـ د: عزام ٣٧٠.
(٨٠) م.ن: ٣٧٢.
(٨١) م.ن: ٣٧٩.
(٨٢) ديوان ابي فراس الحمداني، تحـ د. سامي الدهان: ٨٤.
(٨٣) م.ن: ٣٧.
(٨٤) م.ن: ١٣١.
(٨٥) ديوان الشريف الرضي، تحـ د. محمود مصطفى حلاوي: ٥٠٢/٢.
(٨٦) م. ن: ٣٥٦/٢.
(٨٧) م.ن: ٤١٦/٢.
(٨٨) ظ: العاطفة والإبداع الشعري: ٩.

(٨٩) التجربة الخلاقة: ١٢.
(٩٠) ظ: البحث النفسي في ابداع الشعر: ٦٧.
(٩١) محاضرات في النقد الأدبي: د. بتول قاسم ناصر: ٥٥.
(٩٢) ظ: العمدة ١١٧/١.
(٩٣) الرفض ومعانيه في شعر المتنبي: ٢٥٥.
(٩٤) موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي: ٢٣٣.
(٩٥) ديوان ابي الطيب المتنبي، تحـ عزام: ٢٩٠.
(٩٦) م.ن: ٢٩٧.
(٩٧) لغة الحب في شعر المتنبي: ٣٩.
(٩٨) يتيمة الدهر: ٤٨/١.
(٩٩) ظ: أبو فراس الحمداني رحلة الحياة ومسيرة الموت: ١٤.
(١٠٠) ديوان أبي فراس الحمداني، تحـ د. سامي الدهان: ١٢٤.
(١٠١) يتيمة الدهر:٢٩١/٢.
(١٠٢) م.ن: ٢٩٢/٢.
(١٠٣) تاريخ الأدب العربي، أبو الخشب: ٢٣٦.
(١٠٤) عبقرية الشريف الرضي: ٧٠/١.
(١٠٥) ديوان الشريف الرضي، تحـ:د. محمود مصطفى حلاوي: ٦٥٩/١.
(١٠٦) مسائل في فلسفة الفن المعاصر: ١٥١.
(١٠٧) ظ: الشعر والفكر عند العرب: ١٠.
(١٠٨) زمن الشعر:٣٥٣.
(١٠٩) الشعر والفكر عند العرب: ١١.
(١١٠) من النسق إلى الذات: ١٩٢.
(١١١) أبو الطيب المتنبي، دراسة ومختارات: ٥٣.
(١١٢) ديوان أبي الطيب المتنبي، تحـ د. عزام:١٣٤.
(١١٣) م.ن: ٢٦٤.
(١١٤) ظ: أعيان الشيعة: ٣٠/١٨.
(١١٥) ديوان أبي فراس الحمداني، تحـ د. سامي الدهان: ٢٢٥.
(١١٦) م.ن: ٢٠٩.
(١١٧) الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي:٢٣٠.
(١١٨) عبقرية الشريف الرضي:٢٢/١.
(١١٩) ديوان الشريف الرضي، تحـ: محمود مصطفى حلاوي: ٢٤٠/١.

قائمة المصادر والمراجع

- الإبداع في الفن، قاسم حسين صالح، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨١م.
- الأسس النفسية للإبداع النفي في الشعر خاصة، د. مصطفى سويف، دار المعارف بمصر ن ط٢، ١٩٧٩م.
- الأسس النفسية للإبداع النفي في الشعر خاصة، د. مصطفى سويف، دار المعارف بمصر ن ط٢، ١٩٧٩م.
- الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي، عزيز السيد جاسم، دار الأندلس، بيروت ـ لبنان، (د.ت).
- البحث النفسي في إبداع الشعر، ثائر حسن جاسم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، تحـ: محمد أمين الخانجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر/ ١٩٣٠م.
- التجربة الخلاقة، س. م. بورا، تر: سلامة حجاوي، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٧م.
- تراثنا كيف نعرفه، حسين مردة، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٩٨٦م.
- ديوان أبي الطيب المتنبي، تحـ: د. عبد الوهاب عزام، دار الاهزاء، بيروت، ١٩٧٨م.
- ديوان أبي فراس الحمداني، رواية ابن خالويه، تحـ د. سامي الدهان، ووزارة الثقافة، دمشق ـ سوريا، ط١، ٢٠٠٤م.
- ديوان الشريف الرضي، تحـ: د. محمود مصطفى حلاوي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
- الذاتية والغيرية والحوار بين الأنا والآخر في الرواية، د. عبد البديع عبد الله، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
- زمن الشعر، أدونيس، دار الساقي، بيروت ـ لبنان، ط٦، ٢٠٠٥م.
- الشخصية وقياسها، د. لويس كامل وأخرين، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٥٩م.
- الشعر والفكر عند العرب من أوساط القرن الثاني حتى أوائل القرن السادس، د. سعيد عدنان، ط١، دار تموز، دمشق، ٢٠١١م.
- عبقرية الشريف الرضي، زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ـ ١٩٨٨م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ). تحـ: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٤، ١٩٧٢م.
- فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، محمد علي أبو رسان، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٤.

- قراءات، عبد السلام المسدي، الشركة التونسية، تونس، ١٩٨٤م.
- المتنبي بين الاغتراب والثورة، د. ذياب قديد، عالم الكتب الحديث، اربد ـ الأردن، ط١، ٢٠١١م.
- المجمل في فلسفة الفن، ب. كروتشه، تر. سامي الدروبي، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ لبنان، ط١/ ٢٠٠٩م.
- المدخل إلى علم النفس الحديث، ركس نايت، مرجريت نايت، تر: د. عبد علي الجسماني، مكتبة النهضة ـ بغداد، ط٢، ١٩٧٠م.
- المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، د. بسام قطوس، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط١، ٢٠٠٦م.
- مع المتنبي، د. طه حسين، دار المعارف بمصر، ط١٣، ١٩٨٦م.
- معجم مصطلحات علم النفس، د. محمد مصطفى زيدان، د. أحمد محمد عمر، مكتبة الانجلو المصرية، (د.ت).
- من النسق إلى الذات، د. عمر سهيل، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.
- موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، د. محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.
- نقد الشعر في المنظور النفسي، د. ريكان إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٩م.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبي، (٤٢٩هـ)، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ط٢، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م.